ISSN: 2321-7928

التجليات التربوية في كتابات الإمام الفراهي "دلائل النظام" أنموذجًا

- د. عبدالمؤمن إبراهيم عبدالمؤمن وعثمان أبوبكر يعقوب[1]

ملخص البحث

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن التجليات التربوية في كتابات الإمام عبد الحميد الفراهي، مع التركيز على كتابه المنهجي "دلائل النظام" كنموذج تطبيقي. انطلقت الدراسة من مشكلة بحثية تتمثل في ندرة الدراسات التي تناولت الأبعاد التربوية في مشروع الفراهي الإصلاحي، رغم أنها تشكّل جوهر مشروعه الهادف إلى إعادة بناء العقل المسلم وتزكية النفس من خلال العودة المنهجية إلى القرآن الكريم.

اعتمد البحث على المنهج التحليلي الاستقرائي، حيث قام باستقراء وتحليل المفاهيم والمبادئ ذات الدلالة التربوية في كتاب "دلائل النظام". وقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج الهامة، أبرزها: أنّ "دلائل النظام" لا يمثّل فقط نظرية في أصول التفسير، بل هو وثيقة تربوية متكاملة تقدم مشروعًا لبناء عقلية منهجية منظمة. كما كشف البحث عن أنّ منهج "النظام القرآني" يعدّ أداة فعّالة للتربية على التفكير النقدي، ونبذ التقليد، وتأسيس القناعات على البرهان والدليل.

وأظهرت الدراسة أنّ البعد العقلي في فكر الفراهي يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالبعد الإيماني والأخلاقي؛ فالغاية من التدبر المنهجي هي تحقيق التأثر الوجداني، وتزكية النفس، وترسيخ اليقين المبني على الحجة العقلية. وخلص البحث إلى أنّ النموذج التربوي الذي يقدّمه الفراهي يقوم على علاقة تفاعلية بين "المعلم القدوة" و"المتعلم الفاعل"، وهو

[1] قسم المناهج وطرق التدريس، كلية أمين كنو للدراسات الشريعة والقانون ولاية كنو نيجيريا

نموذج أثبت فاعليته في تخريج جيل من العلماء المبدعين، وفي مقدمتهم تلميذه أمين أحسن الإصلاحي.

وفي الختام، أوصت الدراسة بضرورة تفعيل هذا النموذج التربوي في الواقع التعليمي المعاصر، من خلال إصلاح مناهج تدريس التفسير، وتدريب المعلمين، وتطوير مواد تعليمية تركز على الوحدة الموضوعية للسور القرآنية كمدخل لبناء شخصية مسلمة متوازنة، تجمع بين دقة العقل وعمق الإيمان.

الكلمات المفتاحية: الإمام الفراهي، التربية الإسلامية، دلائل النظام، نظام القرآن، التفكير النقدي، التدبر، تزكية النفس، المنهج التربوي.

مقدّمة

يُمثّل الإمام عبد الحميد الفراهي (1863-1930م) علّامة فارقة في تاريخ التفسير وعلوم القرآن في العصر الحديث، حيث أسّس لمدرسة فكرية فريدة قامت على نظريته المحورية "نظام القرآن". وعلى الرغم من أنّ شهرة الإمام الفراهي ارتبطت بشكل أساسي بمشروعه التفسيري ومنهجه اللغوي، إلا أنّ أعماله تحمل في طياتها أبعادًا إصلاحية وتربوية عميقة لم تحظَ بالقدر الكافي من الدراسة والتحليل.

إنّ مشروعه لم يكن مجرد مشروع معرفي لكشف كنوز القرآن، بل كان يهدف في جوهره إلى إعادة بناء العقل المسلم وتشكيل الشخصية المسلمة على هدي من القرآن الكريم، وهو ما يمثل صميم العملية التربوية. ويأتي كتابه **"دلائل النظام"**، الذي يُعد العمدة في بيان أصول منهجه، ليقدم لنا ليس فقط أدوات لفهم القرآن، بل رؤية متكاملة لكيفية بناء عقلية منهجية، نقدية، ومتدبرة.

1. يسعى هذا البحث إلى الكشف عن هذه "التجليات التربوية" الكامنة في ثنايا هذا العمل المنهجي، بالانتقال من النظر إلى "دلائل النظام" ككتاب في أصول

التفسير فحسب، إلى اعتباره وثيقة تربوية تضع أسسًا لإصلاح الفكر والسلوك من خلال العودة المنهجية إلى القرآن الكريم.

مشكلة البحث:

تركزت معظم الدراسات حول الإمام الفراهي على جوانب منهجه التفسيري، أو نظريته في "نظام القرآن"، أو إسهاماته اللغوية. وبقيت الأبعاد التربوية في فكره ومشروعه، وخاصة تلك المضمنة في كتاباته المنهجية، في الظل. تكمن مشكلة البحث في "**غياب دراسة متعمقة**" تستخلص وتُحلل المبادئ والأسس التربوية التي بنى عليها الإمام الفراهي منهجه في كتابه "دلائل النظام"، وكيف يمكن لهذا المنهج أن يشكل نموذجًا للتربية العقلية والأخلاقية المعاصرة".

تساؤلات البحث:

ينطلق البحث من تساؤل رئيسي هو: **ما هي أبرز التجليات التربوية في كتاب "دلائل النظام" للإمام الفراهي؟** ويتفرع عنه التساؤلات التالية:

1. كيف يسهم منهج "النظام" كما عرضه الفراهي في بناء عقلية منهجية منظمة لدى المتعلم؟
2. ما هي أسس التربية العقلية والنقدية التي يمكن استنباطها من "دلائل النظام"؟
3. ما القيم الأخلاقية والإيمانية التي سعى الفراهي لترسيخها من خلال منهجه في تدبر القرآن؟
4. إلى أي مدى يمكن اعتبار منهج الفراهي في "دلائل النظام" مشروعًا تربويًا متكاملًا يتجاوز كونه أداة تفسيرية؟

أهداف البحث:

1. الكشف عن الفلسفة التربوية الكامنة وراء مشروع الإمام الفراهي الإصلاحي.

2. تحليل المبادئ والأساليب التي اعتمدها الفراهي في "دلائل النظام" لبناء العقلية المتدبرة.
3. استنباط القيم والموجهات الأخلاقية والإيمانية التي تضمنها الكتاب.
4. إبراز أهمية كتاب "دلائل النظام" كمصدر من مصادر الفكر التربوي الإسلامي الحديث.

أهمية البحث:

- **الأهمية النظرية:**
  - سدّ الفجوة المعرفية في الدراسات الفراهية المتعلقة بالجانب التربوي.
  - تقديم قراءة جديدة لكتاب "دلائل النظام" من زاوية التربية، مما يثري فهمنا لعمق مشروع الفراهي.
  - الإسهام في تأصيل نظريات التربية الإسلامية بالعودة إلى مناهج كبار المصلحين.
- **الأهمية العملية:**
  - تقديم نموذج عملي للمربين والمعلمين لتطوير مهارات التفكير النقدي والتدبر لدى الطلاب من خلال منهجية قرآنية.
  - إعادة الاعتبار للمناهج القرآنية كأدوات لبناء الشخصية وليس فقط للحفظ والتلقين.
  - إلهام الباحثين لتطبيق هذه المنهجية على نصوص تراثية أخرى للكشف عن أبعادها التربوية.

منهج البحث:

سيتبع البحث بشكل أساسي **المنهج التحليلي الاستقرائي**:

- **الاستقراء:** من خلال تتبع المفاهيم والمصطلحات والإشارات ذات الدلالة التربوية في كتاب "دلائل النظام".
- **التحليل:** من خلال تحليل هذه النصوص والمفاهيم وتصنيفها وربطها بالمبادئ

التربوية العامة، وتفسيرها في سياق مشروع الفراهي الكلي.

- **الوصفي:** سيتم استخدام المنهج الوصفي في المبحث الأول لتقديم الإطار النظري عن الإمام الفراهي وكتابه.

مصطلحات البحث:

- **التجليات التربوية:** المظاهر والمبادئ والأساليب والقيم ذات الأثر التعليمي والتزكوي، سواء كانت صريحة أو ضمنية، والتي يمكن استخلاصها من النص.
- **الإمام الفراهي:** عبد الحميد الأنصاري الفراهي، عالم ومفسر هندي، صاحب نظرية "نظام القرآن".
- **دلائل النظام:** كتابه الذي وضع فيه أصول وقواعد منهجه في اكتشاف الوحدة الموضوعية والنظم في القرآن الكريم.
- **النظام:** المفهوم المحوري عند الفراهي، ويعني التناسق والترابط والوحدة الموضوعية التي تربط آيات وسور القرآن الكريم.

هيكل البحث المقترح:

مقدمة

المبحث الأول: الإطار النظري للدراسة

- **المطلب الأول:** الإمام الفراهي: حياته، ومشروعه الإصلاحي.
- **المطلب الثاني:** كتاب "دلائل النظام": مضمونه، أهميته، وموقعه في فكر الفراهي.
- **المطلب الثالث:** مفهوم التربية وأبعادها في الفكر الإسلامي الحديث.

المبحث الثاني: التجليات التربوية العقلية في "دلائل النظام"

- **المطلب الأول:** منهج "النظام" كأداة لبناء العقلية المنهجية المنظمة.

- **المطلب الثاني:** أسس التفكير النقدي: بين البرهان والدليل ونبذ التقليد.
- **المطلب الثالث:** دور اللغة والبلاغة في صقل الملكات العقلية وتنمية الذوق.

المبحث الثالث: التجليات التربوية الأخلاقية والإيمانية في "دلائل النظام"

- **المطلب الأول:** التربية على التدبر كقيمة إيمانية مركزية.
- **المطلب الثاني:** تزكية النفس من خلال فهم مقاصد القرآن الكلية.

المبحث الرابع: أبعاد النموذج التربوي الفراهي وتطبيقاته

- **المطلب الأول:** ملامح النموذج التربوي: المعلم القدوة والمتعلم المتدبر.
- **المطلب الثاني:** نحو تفعيل المنهج التربوي الفراهي في الواقع التعليمي المعاصر.

خاتمة: تتضمن أهم النتائج التي توصل إليها البحث، والتوصيات المقترحة.

قائمة المصادر والمراجع

الفهارس

المبحث الأول: الإطار النظري للدراسة

المطلب الأول: الإمام الفراهي: حياته، عصره، ومشروعه الإصلاحي

أولًا: حياته وتكوينه العلمي (1863-1930م): هو عبد الحميد بن عبد الكريم بن قربان قنبر بن تاج علي، حميد الدين، أبو أحمد، الأنصاري، الفراهي.[1] و"الفراهي" نسبة إلى قريته التي كانت مسقط رأسه، واسمها "فَريها"، وهي من قرى (أعظم كره) أحد أضلاع الإقليم الشمالي في الهند "أُتَّرا براديش". ولد الفراهي في القرية المذكورة صباح يوم الأربعاء سادس جمادى الآخرة سنة 1280هـ، في أسرة كريمة معروفة

[1] الإصلاحي، محمد أجمل أيوب. **مفردات القرآن**، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2002م، ص 13.

بنسبها وعلمها ومكانتها الاجتماعية، ويعدّ أهلها من أعيان المنطقة ووجهائها، فنشأ الفراهي وترعرع في رخاء ورفاهية.[1]

شيوخه ورحلاته في طلب العلم: بدأ الفراهي تحصيله العلمي في منزله كدأب أبناء البيوتات الشريفة، إذ عيّن له مؤدب يسمّى الشيخ أحمد علي، فقرأ عليه القرآن الكريم، وحفظه وهو ابن عشر سنين أو نحو ذلك.

ثم تعلم اللغة الفارسية في منزله أيضًا في مدة تسعة أشهر، أخذها عن الشيخ محمد مهدي الذي كان من المؤدبين المشهورين في تلك الديار، وله ديوان شعر بالفارسية. وسرعان ما حصلت له بذكائه وتوقد ذهنه ملكة قوية في اللغة الفارسية، وامتلك ناصية البيان، فبدأ يقرض الشعر، ولم تمض مدة قليلة حتى أخذ يجاري فحول شعراء الفارسية.[2]

بدأ الفراهي تعلُّم اللغات باللغة الفارسية، حيث تعلَّمها في بيته في مدة تسعة أشهر على أحد الأساتذة البارعين، وسرعان ما برع الفراهي في هذه اللغة حتى استطاع أن يقرض الشعر فيها، ولم تمض مدةً قليلةً حتى شرع يُجاري في ذلك فحول شعراء الفارسية.[3]

ثم أقبل الفراهي على تعلُّم اللغة العربية، فتعلَّمها على ابن عمِّه الشيخ شبلي النعماني، الذي كان من كبار العلماء الملمين بالعربية وآدابها وقتئذ، فأتقن الفراهي هذه اللغة على يده إتقانًا كاملًا، ثم تاقت نفسه إلى قراءة آداب هذه اللغة، فدرسها على الشيخ فيض الحسن السهارنفوري، الذي كان يُعدّ وقتئذ من كبار علماء اللغة والأدب في شبه القارة الهندية، وألَمَّ الفراهي بهذه اللغة إلمامًا تامًا، حتى أصبح فيها إمامًا لا يشقّ له غبار، وكان له في كل علم من علومها تحقيقات واجتهادات واستدراكات على

[1] المرجع السابق، ص 16

[2] المرجع السابق، ص 16

[3] محمد فريد راوي بن عبد الله، **جهود الإمام عبد الحميد الفراهي الهندي في التفسير وعلوم القرآن**، بحث منشور لنيل درجة الدكتوراه في تفسير وعلومه، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2015م، ص 28

الأئمة، وأكبَرُ دليلٍ على ذلك كتابه "جمهرة البلاغة" الذي ردَّ فيه على عبد القاهر الجرجاني، وقدَّم بعضَ آرائه المفيدة في فن البلاغة.[1]

وبعد أن أخذ الفراهي حظًا وافرًا من اللغتين الفارسية والعربية؛ رآى أنه من الضروري أن يتعلم اللغة الإنجليزية لكونها لغة المستعمرين البريطانيين وقتئذ في الهند ليعرف مكائدَهم ومؤامراتِهم ضد أهلها وخاصة ضد المسلمين ودينهم، فتعلَّم هذه اللغةَ في "كلية عليكره" التي تُسَمَّى اليوم بـ"جامعة عليكره الإسلامية". وقد أتقن الفراهي هذه اللغةَ إتقانًا كاملًا، حتى استطاع فيما بعد أن يؤلِّف ويحاضر فيها، وله في هذه اللغة رسالةٌ ألَّفها عن عقيدة الشفاعة والكفارة، ردَّ بها على بعض علماء النصارى.[2]

كما أنه تعلَّم في هذه الجامعة اللغةَ العبرانية أيضًا على المستشرق اليهودي الألماني جوزف هوروفيتس، وكان تعلُّمه لهذه اللغة مفيدًا حيث أعانتْه كثيرًا فيما بعد في قراءة التوارة للمقارنة بينها وبين القرآن الكريم، وكذلك أعانته هذه اللغة على الردّ على اليهود والنصارى في بعض المسائل الدقيقة، كما نرى ذلك في كتابه "الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح"، فقد جاء فيه بثلاثة عشر دليلًا من التوراة نفسها للرد على زعمهم بأنّ الذبيح إسحاق عليه السَّلام، وناقش علماءَ أهل الكتاب، وفسَّر بعضَ ما أشكل عليهم من كتبهم.[3]

وبعد تخرجه، عمل في التدريس والترجمة في عدة جامعات ومدن، لكنه آثر في نهاية حياته العزلة العلمية ليكرس وقته كاملًا لمشروعه الأهم: خدمة القرآن الكريم.

صفاته الخَلْقِيَّة: قيل في وصف الفراهي الخِلقي: إنه كان أسمر اللَّون المائل إلى البياض، ونحيل الجسم، ومتوسط القامة، وكامل اللحية، قليل الكلام، كثير الفكر، محبًا للعزلة، ومهيبًا ووقورًا، رشيدًا ورزينًا.[4]

[1] المرجع السابق، ص 28
[2] المرجع السابق، ص 28
[3] المرجع السابق، ص 29
[4] الإصلاحي، شرف الدين، **ذكر فراهي**، ص67.

صفاته الخُلُقِيَّة: عُرف الفراهي في طيلة حياته، بفرط الذكاء، ونفاذ البصر، وسرعة الإدراك، ودقة الاستنباط، وغزارة العلم، وسعة الاطلاع، فكان عالمًا ذا ثقافة واسعة متنوِّعة، فقد برع في العلوم النقلية والعقلية، ومهر في اللغات الشرقية والغربية، وبرع في الفلسفة الحديثة، وتلك أمور لم يتصف بها أحد من علماء الهند قديمًا وحديثًا، ثم لم يزده ذلك كله إلا قوةً في الدين وغيرةً عليه، واستقامةً عليه علميًا وعمليًا.

وقد أقبلت عليه الدنيا، وتهيأت له فرص لو اغتنمها وسعى إلى ما يسعى إليه الآخرون من أهل الدنيا، لنال أجلَّ الرُّتَب وأعلى المناصب، وحازَ كلَّ ما تطمع فيه النفوس من الأموال والألقاب وسعة الشهرة، ولكنه كان زاهدًا في ذلك كله، كان متواضعًا في غاية التواضع، مع جود وغنى نفس، وهذه بعض شهادات معاصريه بما قلتُه: يقول العلّامة شبلي النعماني: "مَن جلس إلى عبد الحميد، انصرف قلبه عن الدنيا".[1]

وفاته: توفي رحمه الله- وهو يتلو القرآن الكريم- في 19 جمادى الآخرة عام 1349هـ على إثر عملية جراحية أجراها طبيبه الخاص في مدينة (مثورا) ودفن بها.[2]

ثانيًا: مشروعه الإصلاحي: القرآن الكريم كتاب متماسك، محكم البناء: من رحم هذه التحديات، وُلد مشروع الإمام الفراهي الإصلاحي، والذي يمكن تلخيص هدفه الأسمى في "إعادة الاعتبار لسلطة القرآن المركزية في حياة المسلمين". وقد رأى أنّ الطريق لتحقيق ذلك لا يكون إلا بإثبات أنّ القرآن الكريم كتاب متماسك، محكم البناء، ومنظم في آياته وسوره، وأنّ فهم هذا "النظام" هو المفتاح لتدبره واستخراج هداياته.

لم يكن مشروعه مجرد مشروع تفسيري أكاديمي، بل كان في جوهره مشروعًا تربويًا نهضويًا يهدف إلى:

- بناء العقل المسلم المنهجي: من خلال تدريبه على فهم العلاقات المنطقية والروابط

[1] جهود الإمام عبد الحميد الفراهي الهندي في التفسير وعلوم القرآن، ص 35
[2] مفردات القرآن، ص 39

الموضوعية في النص القرآني، بدلًا من التلقي السلبي والتفسير المجزأ.

- تحرير الفكر من التقليد الأعمى: بإعادة المسلم إلى المصدر الأول (القرآ) كحَكَم ومرجع أساسي.

- تزكية النفس وتحقيق الهداية: فالفهم الصحيح لنظام القرآن، في رأيه، هو الذي يقود إلى التأثر الحقيقي بآياته وتحقيق مقاصده التربوية والأخلاقية.

وهكذا، كان المشروع الفراهي بأكمله محاولة جادة للاجابة عن سؤال الأزمة: كيف يمكن للقرآن أن يعود فاعلًا في بناء الإنسان والمجتمع؟ وكانت إجابته هي: من خلال الكشف عن "نظامه" المعجز.

المطلب الثاني: كتاب "دلائل النظام:" مضمونه، أهميته، وموقعه في فكر الفراهي

يُعدّ كتاب "دلائل النظام" حجر الزاوية في المشروع الفكري للإمام الفراهي، فهو ليس مجرد كتاب ضمن مؤلفاته، بل هو "البيان المنهجي" الذي يضع فيه الأسس والقواعد النظرية لمشروعه التفسيري بأكمله.

أنّ الفراهي- رَحِمَه الله- انْقَطع فَتْرَة طَوِيلَة من عمره الْمُبَارك إِلَى تدبُّر الْقُرْآن ودرسه، وَالنَّظَر فِيهِ من كل جِهَة، وَقد مَاتَ- رَحِمَه الله- وَهُوَ مكبٌّ على أَخذ مَا فَاتَ الْعلمَاء، ولفّ مَا نشروه، ولمّ مَا شتَّتوه، وَتَحْقِيق مَا لم يحققوه، فَكَانَ لِسَانه ينْبع علمًا بِالْقُرْآنِ، وصدره يتدفق بحثًا عَن مشكلاته، وقلمه يجْرِي كشفًا عَن معضلاته؛ إِذْ كَانَ يعْتَقد أَنّ الْقُرْآن مُرَتّب بيانُه، ومنسقة النظام آياتُه، وَأَنّ كل مَا تقدم وَتَأَخر من سوره بُنِيَ على الْحِكْمَة والبلاغة ورعاية مُقْتَضى الْكَلَام، فَلَو قُدِّم مَا أُخِّر، وأُخِّر مَا قُدِّم، لبطل النظام، وفسدت.[1]

[1] أبو العلاء، عادل بن محمد. **مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور**، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد129- السنة 37- 1425هـ، ص 72.

أولًا: مضمون الكتاب وأبرز محاوره: الكتاب، كما يدلّ عنوانه، مخصص بتقديم الأدلة والبراهين على وجود "النظام" في القرآن الكريم. لا يقدّم الفراهي في هذا الكتاب تفسيرًا للآيات، بل يقدم "أصول التفسير" الخاصة بمدرسته. ألّف هذا الكتاب لإقامة الحجة على وجود النظام (أي الوحدة الموضوعية) في كل سورة من سور القرآن الكريم، وبيان الطرق التي تهدي إلى نظام السورة. نشرته الدائرة الحميدية سنة 1388هـ".[1]

يقول العلّامة الفراهي: "مرادنا بالنظام أن تكون السورة وحدةً متكاملةً، ثمّ تكون ذاتها مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة، أو بالتي قبلها أو بعدها على بعدٍ ما، كما قدّمنا في نظم الآيات بعضها مع بعض، فكما أنّ الآيات ربّما تكون كالجمل المعترضة، فكذلك السور تكون كالجمل المعترضة، وعلى هذا الأصل ترى القرآن كله كلامًا واحدًا ذا مناسبة وترتيب في أجزائه من الأول إلى الآخر.

وإذا ظهر النظام في القرآن، فلا بد أن تظهر لكل سورة صورة مشخّصة، فإنّ معاني الكلام إذا ارتبط بعضها ببعض وجرت إلى عمود واحد، وكان الكلام ذا وحدانية فحينئذ لا يكون إلا وله صورة مشخّصة. فإذا نظرت الكلام من هذه الجهة رأيت ما فيه من الجمال والإتقان والوضوح".[2]

ونوجز أبرز محاوره فيما يلي:

أ- إثبات الحاجة إلى علم النظام: يستهل الكتاب ببيان أنّ الفوضى في فهم القرآن جاءت من إهمال التناسق والترابط بين أجزائه، وأنّ هذا العلم ضروري لفهم الكتاب على وجهه الصحيح.

ب- تحديد أدوات كشف النظام: يوضح الفراهي أنّ الأدوات الأساسية لفهم

[1] المرجع السابق، ص 33.

[2] الفراهي عبد الحميد، **دلائل النظام**، الدائرة الحميدية، ط1، 1388هـ، ص75.

النظام هي اللغة العربية وأساليبها، وسياق السورة، وعمودها (موضوعها الرئيسي)، وترتيب الآيات والسور.

ت- مفهوم "عمود السورة:" وهو من أهم مصطلحات الفراهي، ويقصد به الموضوع المحوري الذي تدور حوله جميع آيات السورة، مهما تنوعت موضوعاتها الفرعية.

ث- نظام ترتيب السور: يرى الفراهي بأنّ ترتيب السور في المصحف هو ترتيب توقيفي ومقصود، وأنّ السور غالبًا ما تكون مرتبة في أزواج متكاملة في المعنى والمقصد.

ثانيًا: أهمية الكتاب وموقعه في مشروع الفراهي: تكمن أهمية "دلائل النظام" في كونه يوفّر الشرعية المنهجية لمشروع الفراهي. فبدون هذه القواعد والأصول، كان من الممكن أن يُنظر إلى تفسيره "نظام القرآن" على أنه مجرد تفسير ذاتي أو تأويل غير منضبط. لكن بوضعه لهذه الأصول، أراد الفراهي أن يؤكد أنّ اكتشاف النظام ليس عملية ذوقية، بل هي عملية علمية تخضع لقواعد لغوية ومنطقية صارمة.

لذلك، يحتل الكتاب موقع الأساس النظري الذي بُني عليه التطبيق العملي في تفسيره. فالعلاقة بين "دلائل النظام" وتفسير "نظام القرآن" هي كالعلاقة بين كتاب "الرسالة" للإمام الشافعي وعلم الفقه، حيث يمثّل الأول كتاب الأصول والقواعد، بينما يمثل الثاني الثمرة والتطبيق. وبهذا المعنى، فإنّ "دلائل النظام" ليس مجرد مقدمة، بل هو المفتاح الذي لا يمكن بدونه الولوج إلى عالم الفراهي التفسيري وفهم أبعاده العميقة، بما فيها الأبعاد التربوية.

يعْتَقد- الفراهي- أَنّ الْقُرْآن مُرَتّب بيانُه، ومنسقة النظام آياتُه، وَأَنّ كل مَا تقدم وَتَأَخر من سوره بُنِيَ على الْحِكْمَة والبلاغة ورعاية مُقْتَضى الْكَلَام، فَلَو قُدِّم مَا أُخِّر، وأُخِّر مَا قُدِّم، لبطل النظام، وفسدت.[1]

[1] مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، ص 72.

المطلب الثالث: مفهوم التربية وأبعادها في الفكر الإسلامي الحديث

لكي نفهم التجليات التربوية في فكر الفراهي، لا بد من تحديد مفهوم "التربية" في سياق الفكر الإسلامي الحديث، وهو السياق الذي تشكل فيه وعي الفراهي ومشروعه.

أولًا: مفهوم التربية الإسلامية: يرى العلماء المسلمون أنّ التربية الإسلامية فلسفة واضحة مستمدة من القرآن الكريم والسنة الشريفة، وهي تتعهد الإنسان بدنيًا وعقليًا وروحيًا.

وقد كثر الكلام في تعريف التربية الإسلامية، وصال العلماء وجالوا حول مفهومها من منظور الإسلام.

فقد عرفها بعضهم بأنها "إعداد الفرد أو الكائن الإنساني لحياته في الدنيا والآخرة".

وبأنها "تلك المفاهيم التي يرتبط بعضها ببعض في إطار فكري واحد يستند إلى المبادئ والقيم التي أتي بها الإسلام, والتي ترسم عددًا من الإجراءات والطرائق العملية يؤدي تنفيذها إلى أن يسلك سالكها سلوكًا يتفق وعقيدة الإسلام".

وعرفها البعض الآخر بأنها "الأسلوب الأمثل في التعامل مع الفطرة البشرية توجيهًا مباشرًا بالكلمة، وغير مباشر بالقدوة، وفق منهج خاص ووسائل خاصة لإحداث تغيير في الإنسان نحو الأفضل والأحسن".[1]

ثانيًا: أبرز أبعاد التربية في الفكر الإصلاحي الحديث: ركّز الفكر التربوي الإصلاحي على عدة أبعاد متكاملة، يمكن أن نجد صداها واضحًا في مشروع الفراهي:

1. التربية العقلية[2] (بناء العقل النقدي): وهي البعد الأبرز، وتهدف إلى الانتقال بالمتعلم من طور التقليد والتلقين السلبي إلى طور الفهم والتحليل والتدبر والنقد. وترتكز على تنمية ملكة التفكير المنهجي والبرهاني، وتشجيع الاجتهاد، ورفض الخرافة والجمود.

[1] السيد، عاطف. **التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها**، د.ت، ص 19.
[2] بن إبراهيم، محمد بن قطب. **منهج التربية الإسلامية**، دار الشروق، ط 16، د.ت، ج1، ص 75.

وهذا يتوافق تمامًا مع دعوة الفراهي إلى فهم القرآن عبر "نظامه" العقلي والمنطقي.

2. التربية الإيمانية والروحية[1] (تزكية النفس): لا تهدف التربية العقلية إلى بناء عقل جافّ، بل إلى ترسيخ الإيمان عن طريق القناعة والبرهان. فالتدبر في نظام القرآن لا بد أن يقود إلى تعظيم الخالق، والشعور بعظمة كلامه، مما يثمر يقينًا راسخًا وطمأنينة روحية. إنها عملية تهدف إلى تحقيق "التزكية" التي هي من أهم مقاصد الرسالة المحمدية.

3. التربية الأخلاقية[2] (بناء الشخصية المتكاملة): الهدف النهائي للعملية التربوية هو ترجمة المعرفة والإيمان إلى سلوك وخلق قويم. ففهم القرآن يجب أن ينعكس على شخصية المسلم في تعاملاته وقيمه. وعليه، فإنّ التربية تهدف إلى بناء شخصية متوازنة، تجمع بين قوة العقل، وصفاء الروح، وسمو الخلق.بهذا الإطار، يصبح من الواضح أنّ مشروع الفراهي، ومنهجه المودع في "دلائل النظام"، لم يكن مجرد أداة معرفية، بل كان بالضرورة أداة تربوية تهدف إلى تحقيق هذه الأبعاد الثلاثة من خلال إعادة الاتصال المنهجي والواعي بالقرآن الكريم.

المبحث الثاني: التجليات التربوية العقلية في "دلائل النظام"

إذا كان المبحث الأول قد رسم الإطار العام لمشروع الفراهي التربوي، فإنّ هذا المبحث يغوص في صلب كتاب "دلائل النظام" للكشف عن أبعاده العملية في بناء العقل المسلم. يرى الفراهي أنّ أولى خطوات الإصلاح تبدأ بإصلاح "طريقة التفكير"، والقرآن الكريم هو الأداة المثلى لهذا الإصلاح، شريطة أن يُتعامل معه بمنهجية سليمة. ومن هنا، لا يمثل كتابه مجرد قواعد للتفسير، بل هو بمثابة "دليل تدريبي لتنمية المهارات العقلية العليا" لدى قارئ القرآن.

[1] المرجع السابق، 38/1.
[2] المرجع السابق، 38/1.

المطلب الأول: منهج "النظام" كأداة لبناء العقلية المنهجية المنظمة

إنّ الفكرة المركزية التي يقوم عليها كتاب "دلائل النظام" بأكمله هي أنّ القرآن الكريم كتاب منظم ومحكم، وأنّ هذا النظام ليس غامضًا بل يمكن اكتشافه بأدوات منهجية. إنّ مجرد الإيمان بهذه الفكرة والانخراط في عملية اكتشافها لهو بحد ذاته عملية تربوية جبارة تعيد تشكيل العقل وتنقله من حالة الفوضى والتشتت إلى حالة التنظيم والمنهجية.

يرى الفراهي أنّ العقل لا يستقيم تدبره إلا إذا سار وفق منهجية "النظام"، والتي تتجاوز مجرد الربط بين الآيات المتجاورة إلى إدراك "الوحدانية" الكلية للنص.

- **بناء التفكير الشمولي:** يؤصل الفراهي تربويًا لفكرة أنّ القرآن كلام واحد ذو مناسبة وترتيب في أجزائه من الأول إلى الآخر. يقول الفراهي: "وبالجملة فمرادنا بالنظام أن تكون السورة كاملًا واحدًا، ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة، أو بالتي قبلها أو بعدها على بعدٍ ما، كما قدّمنا في نظم الآيات بعضها مع بعض، فكما أنّ الآيات ربما تكون معترضة، فكذلك ربما تكون السور معترضة. وعلى هذا الأصل ترى القرآن كله كلاما واحدًا، ذا مناسبة وترتيب في أجزائه من الأول إلى الآخر قلبين مما قدمنا أنّ النظام شيء زائد على المناسبة وترتيب الأجزاء، والآن نبين ما لا يتم النظام إلا به...".[1] هذا المنهج يبني المتعلم عقلية ترفض "التجزئة" وتنظر إلى القضايا ككتلة واحدة مترابطة، حيث يشبه الآيات والسور بالجمل المعترضة التي لا تقطع سياق المعنى الكلي، بل تخدمه
- **الانتقال من الحيرة إلى الوضوح:** يقرّر الفراهي أنّ غياب إدراك النظام هو السبب في تخبط "الأذكياء" وحيرتهم أمام بعض الآيات التي تبدو مقتضبة أو غير متصلة.[2] وبذلك، فإنّ تربية العقل على منهج "النظام" هي أداة تعليمية تمنح المتعلم قدرة على

[1] **دلائل النظام**، ص 75
[2] المرجع السابق، ص 65

ترتيب أفكاره والوصول إلى "الجمال والإتقان والوضوح" في الفهم.[1]

- **تطوير "الكشوف الأولى":** المنهج التربوي هنا يحثّ على التطوير المعرفي؛ فالفراهي لم يقف عند حدود ما سماه "الكشوف الأولى" لمن سبقه في علم المناسبة، بل عمل على "تطويره وتعميقه" لجعله فنًّا مستقلًا قائمًا على أصول راسخة وقواعد واضحة. "ولكنهم- إن كان سعيهم مشكورًا- لم يبذلوا جهدهم إلا في الكشف عن المناسبة بين الآيات المتجاورة، أو السور اللاحقة والسابقة. ولم يمعنوا النظر في الكشف عن المناسبة التي ينتظم بها الكلام من أوله إلى آخره فيصير شيئًا واحدًا فقنعوا بمجرد بيان المناسبة بينها من غير أن ينظروا إلى أمر عام شامل بكل ما يحتوى عليه الآية أو السورة. فلذلك لم يصيبوا في أكثر المواضع بل خبطوا فيها خبط عشواء".[2]
- **ترسيخ مبدأ "السببية" و"الغائية" في التفكير:** يقوم منهج النظام على فرضية أنّ لكل آية، ولكل مقطع، ولكل سورة، سببًا في وجودها وغاية من ترتيبها في هذا الموضع دون غيره. هذا الافتراض يربي العقل على البحث الدائم عن الأسباب والعلل والمقاصد. فبدلًا من أن يسأل "ماذا تقول الآية؟" فقط، يتعلم القارئ أن يسأل: "لماذا جاءت هذه الآية هنا؟" و"ما علاقتها بما قبلها وما بعدها؟" و"ما الغاية من هذا الترتيب؟".

هذه الأسئلة تنقل العقل من مستوى الفهم السطحي إلى مستوى "الفهم العميق" فالفراهي، على سبيل المثال، يشدّد على أهمية فهم "حسن التخلص" بين أجزاء السورة، وهو ما يربي العقل على تتبع الروابط المنطقية الخفية والظاهرة، ويجعله يرفض التفسيرات التي تقوم على الصدفة أو العشوائية في ترتيب النص.

[1] المرجع السابق، ص 9
[2] المرجع السابق، ص 2

المطلب الثاني: أسس التفكير النقدي: بين البرهان والدليل ونبذ التقليد

يعتبر الفراهي أنّ التقليد الأعمى هو أحد أكبر معوقات فهم القرآن، وبالتالي أحد أكبر أمراض العقل المسلم. ويقدم كتابه "دلائل النظام" ترسانة منهجية لتحرير العقل من سلطة التقليد، وتأسيسه على قاعدة البرهان والدليل.

- **التحرر من حشد الأقاويل:** في عملية استخراج "عمود السورة" (أي مقصدها الرئيس)، يدعو الفراهي المتعلم إلى ألا يعتمد كليًا على "حشد الأقاويل والروايات التي تملأ كتب التفسير"، بل عليه أن يعمد مباشرة إلى "التأمل المجرد" والنظر في المعاني نظر المطلع الخبير (يقول الفراهي: "اعلم أنّ تعيين عمود السورة، هو إقليد المعرفة نظامها ولكنه أصعب المعارف. ويحتاج إلى شدة التأمل والتمحيص وترداد النظر في مطالب السورة المتماثلة والمتجاورة، حتى يلوح العمود كفلق الصبح، فتضيء به السورة كلها، ويتبين نظامها، وتأخذ كل آية محلها الخاص، ويتعين من التأويلات المحتملة أرجحها".[1] هذا المبدأ يربي في المتعلم شجاعة السؤال والتمحيص، وهي من أهم ركائز التفكير النقدي.
- **المجاهدة العلمية والتمحيص:** التفكير النقدي عند الفراهي ليس ترفًا، بل هو "أصعب المعارف" التي تحتاج إلى "شدة التأمل والتمحيص وترداد النظر".[2] هذا يربي في النفس الصبر العلمي وعدم قبول التأويلات الاحتمالية إلا بعد أن "يلوح العمود كفلق الصبح" وتضيء به السورة كلها.
- **مواجهة أهواء المبتدعين:** إنّ إعمال العقل النقدي في "النظام" يؤدي إلى انتفاء أهواء المبتدعين وانتحال المبطلين وزيغ المنحرفين. فالدليل النظامي يضع حدًا للتأويلات العبثية التي تنشأ عن عدم الالتزام برباط الآيات وسياقها الكلي. يقول

[1] المرجع السابق، ص 77-78

[2] المرجع السابق، ص 77-78.

الفراهي: "فالدواء الوحيد لهذا الداء العضال أن تدبر القرآن بقلب ساذج، ونؤمن به بل نطمئن بما يظهر لنا من نظامه ... هو الذي لا يصلح أمورنا إلا به".[1]

هذا الأسلوب يربي المتعلم على:

- التمييز بين الرأي والدليل: فليس كل قول مقبولًا، بل القول المدعوم بالبرهان.
- تقييم الحجج: يتعلم القارئ كيفية تحليل الحجة المقدمة، وتقييم مدى قوتها وصلتها بالموضوع.
- الموضوعية في البحث: حيث يصبح التركيز على الدليل لا على شخص القائل.

المطلب الثالث: دور اللغة والبلاغة في صقل الملكات العقلية وتنمية الذوق

لم يكن اهتمام الفراهي باللغة والبلاغة مجرد اهتمام تقني أو أكاديمي، بل كان يرى فيهما "المدخل الأساسي لتدريب العقل وتنمية الحس الجمالي والذوق الرفيع"، وهما عنصران أساسيان في تكوين الشخصية السوية.

- **اللغة كأداة للتفكير الدقيق:** يؤكد الفراهي في "دلائل النظام" مرارًا على أنّ فهم القرآن يتوقف على فهم دقيق لمفردات اللغة العربية وأساليبها البلاغية وهو لا يقصد بذلك مجرد معرفة المعاني السطحية للكلمات، بل الغوص في دلالاتها العميقة، وفهم الفروق الدقيقة بين المترادفات، وإدراك الأغراض البلاغية من وراء استخدام أسلوب دون آخر. تجد في القرآن ذكر الصلوة مع الزكاة والربو مع الصدقة وإنفاق المال مع بذل النفوس.[2]

هذا التركيز على الدقة اللغوية يربي العقل على:

- الدقة في التفكير والتعبير: فالعقل الذي يعتاد على التمييز بين الفروق الدقيقة في لغة القرآن، يصبح أكثر قدرة على التفكير والتعبير بدقة ووضوح في شؤونه كلها.

[1] المرجع السابق، ص 5
[2] انظر: المرجع السابق، ص 29-30

- تجنب التعميمات السطحية: حيث يتعلم أنّ لكل كلمة وزنها ودلالتها الخاصة التي لا يمكن إغفالها.
- تنمية مهارة التحليل النصي: وهي مهارة عقلية عليا، لا غنى عنها في أيّ مجال من مجالات المعرفة.

- **إدراك "التركيب" كمعنى زائد:** يؤكد الفراهي على ملمح تربوي لغوي هام، وهو أنّ "للتركيب معنى زائدًا على أشتات الأجزاء". فالعقل الذي يُصقل بالبلاغة لا ينظر للكلمات مفردة، بل يدرك القيمة المضافة التي يمنحها "النظم"، وهذا ينمي لدى المتعلم ذوقًا أدبيًّا وعقليًّا رفيعًا يفهم "روح الكلام" لا ظاهره فقط.
- **البلاغة كطريق للانتفاع:** يربط الكتاب بين فهم "أسرار البلاغة" وبين "الانتفاع بالقرآن علمًا وعملًا". فصقل الملكة اللغوية يسهل الوقوف على "الناحية التأليفية" للنص، ومن حُرم فهم هذا النظام فقد "حُرم حظًّا من الكلام".[1] يقول الفراهي: "ولولا القرآن وإعجازه، ما اهتدينا إليه، كما أنا لم نطلع على حقيقة البلاغة ونهجها، لولا كشف القرآن القناع عن وجوهها".[2]
- **التربية على الإيجاز والحكمة:** إنّ إدراك أنّ القرآن بني على "نهاية الإيجاز" و"رعاية مقتضى الكلام" يربي على المتعلم ملكة "الاختصار غير المخل" والوصول إلى لب الحكمة، "النظم يهدي إلى الحكمة"[3] مما ينعكس على أسلوبه في التعبير والتفكير، حيث تصبح لغته دقيقة ومنسقة كالنظام القرآني الذي يدرسه. ويقول: "وجوه البلاغة من حسن التقسيم والإشارة و براعة الاستهلال وحسن الترتيب".[4]

[1] المرجع السابق، ص 41
[2] المرجع السابق، ص 11
[3] المرجع السابق، ص 33
[4] المرجع السابق، ص 26

ويوضح أنّ الإيجاز والحذف والكناية في النظم القرآني تُنمّي قدرة العقل على الاستنتاج والتخيل: "فإنّ كلام العرب قد وُضِع على الإيجاز وكثُر فيهم الحذف، فلا معنى للتحاشي عنه".[1]

كما أنّ التناسب والترتيب في الآيات يُهذّب الذوق ويرفع مستوى الإدراك الجمالي والفكري: "فالنظام لا يظهر التناسب وحده، بل يجعل السورة كلامًا واحدًا، ويعطيها وحدانيتها".[2]

- **البلاغة كأداة لتنمية الذوق والحس الجمالي:** إنّ اكتشاف "نظام القرآن" ليس عملية عقلية جافة فحسب، بل هي أيضًا عملية "جمالية" بامتياز. فالفراهي يرى أنّ نظام القرآن هو ذروة الإعجاز البلاغي والجمال البياني. وعندما يتدرب القارئ على تتبع هذا الجمال، من خلال فهم أسرار التقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، والاستعارة والكناية، فإنه لا يفهم المعنى فقط، بل يتذوقه. هذا التذوق الجمالي له أثر تربوي عميق.

المبحث الثالث: التجليات التربوية الأخلاقية والإيمانية في "دلائل النظام"

لا ينفصل بناء العقل في مشروع الفراهي عن تزكية النفس وترسيخ الإيمان؛ بل إنّ الهدف الأسمى من بناء العقلية المنهجية هو أن تكون أداة لتلقي الهداية القرآنية بشكل أعمق وأكثر تأثيرًا. فالعقل المنظم ليس غاية في ذاته، بل هو وسيلة لتحقيق الغاية الكبرى وهي بناء الشخصية القرآنية المتكاملة التي يفيض قلبها إيمانًا ويقينًا، وتنعكس أخلاق القرآن على سلوكها. يكشف هذا المبحث كيف أنّ "دلائل النظام" ليس مجرد دليل إجرائي للتفسير، بل هو خارطة طريق لرحلة إيمانية وأخلاقية عميقة.

[1] المرجع السابق، ص 66
[2] المرجع السابق، ص 5

المطلب الأول: التربية على التدبر كقيمة إيمانية مركزية

في قلب منهج الفراهي تكمن دعوة صريحة لإحياء فريضة "التدبر" التي كادت أن تُنسى. والتدبر عنده ليس مجرد نشاط ذهني، بل هو "عبادة عقلية وقلبية" تمثل جوهر العلاقة بين العبد وكلام ربه. إنّ الدعوة إلى اكتشاف "النظام" هي في حقيقتها دعوة إلى ممارسة التدبر بأعلى مستوياته وأكثر أشكاله منهجية.

أولًا: الانتقال من القراءة السطحية إلى التدبر العميق: ينطلق الفراهي من نقد صريح لحال المسلمين الذين "يقرؤون القرآن ولا يجاوز تراقيهم"، مكتفين بالقراءة السريعة السطحية بهدف تحصيل الأجر والثواب دون فهم أو تأثر. يرى أنّ هذا النوع من القراءة لا يحقق مقاصد القرآن العليا. لذا، يقدم منهجه في "دلائل النظام" كبديل تربوي يهدف إلى نقل القارئ من:

مستوى التلاوة: وهو مجرد نطق الألفاظ.

إلى مستوى الفهم: وهو إدراك المعاني الظاهرة.

إلى مستوى التدبر: وهو التأمل العميق في مرامي النص وعلاقاته ومقاصده، بهدف استخلاص الهداية والتأثر الوجداني.

ويؤكد أنّ الله أمر بالتدبر في كتابه تكريمًا للعقل ودعوةً للتعبد بالفكر: "ولو لا ذلك فلماذا أمرنا الله تعالى بالتدبر في كتابه والتفكير في آياته؟ وإن لم يكن هنالك معارف مكنون مكنون فبماذا يرجع التدبر و التفكر فيه؟".[1]

ثانيًا: التدبر كمفتاح لخشوع القلب: "التدبر في آياته هو أول إقليد لفتح هذا الباب... فنظر في مطالب الآيات على حدتها ولم يتأمل في مناسبة أجزاء السورة فقد عميت عليه الحكمة وحسن نظامها".[2]

[1] المرجع السابق، ص 18
[2] المرجع السابق، ص 2

ثالثًا: يُعَدّ التدبر في الكتاب قيمة إيمانية جوهرية وليس مجرد عملية عقلية، وهو وسيلة للهداية والتقوى وطلب القرب من الله. يُؤسس الفراهي لفكرة أنّ الإيمان الصادق بالآخرة هو الشرط الأساسي للتدبر النافع، مما يربط بين العملية العقلية والنية الإيمانية.

جاء في الكتاب: "ولكن مع ذلك للتدبر أيضًا أساس، لا يدور قطب رحاه إلا عليه وهو الإيمان الصادق بالآخرة... فليلمس أولًا من أراد التدبر في القرآن قلبه، هل له الإيمان الصادق بالآخرة؟ فإن وجد هناك الإيمان، فقد وجد نورًا لفهم القرآن".[1]

المطلب الثاني: تزكية النفس من خلال فهم مقاصد القرآن الكلية

التزكية هي إحدى الغايات الكبرى للرسالة المحمدية "وَيُزَكِّيهِمْ" (آل عمران: 164)، ويرى الفراهي أنّ الطريق الأمثل لتحقيقها هو من خلال الفهم الصحيح لمقاصد القرآن الكلية. فمنهجه لا يهدف فقط إلى تفسير الآيات، بل إلى استخلاص "الحكمة"المقصد الأخلاقي" الذي يكمن وراءها.

- **فهم نظام القرآن يهدي إلى تزكية النفس:** يربط الكتاب بين **فهم النظام القرآني وتزكية النفس**، حيث يؤدي إدراك الوحدة الموضوعية والسور إلى اكتشاف الحكمة الإلهية التي تهدف إلى تهذيب الأخلاق وتصحيح السلوك. فالنظام يكشف عن مقاصد كليّة مثل الشكر والصبر والتقوى، التي هي أساس التربية الأخلاقية. "فالنظر في مطالب الآيات على حِدَتِها ولم يتأمل في مناسبة أجزاء السورة فقد عُمِّيَت عليه الحكمة وحسن نظامها، لأنّ أكثر الحكم مكنونة تحت دلالات النظام".[2]

ويوضح كيف أنّ فهم نظام القرآن يهدي إلى تزكية النفس عبر معرفة مقاصده: "فإذا تدبرت في القرآن هديت إلى حكمة الدين ونظام أموره".[3]

[1] المرجع السابق، ص 2
[2] المرجع السابق، ص 2
[3] المرجع السابق، ص 34

- **من الأحكام الجزئية إلى الأخلاق الكلية:** ينتقد الفراهي المنهج الذي يغرق في تفاصيل الأحكام الفقهية الجزئية دون ربطها بالمقاصد الأخلاقية الكبرى التي جاء القرآن ليرسخها. فمثلًا، بدلًا من النظر إلى آيات الإنفاق كأحكام فقهية مجردة، فإنّ فهمها ضمن "نظام" السورة يكشف أنها جزء من منظومة أخلاقية متكاملة تهدف إلى بناء مجتمع متراحم ومتكافل، وتزكية النفس من آفة الشح والبخل.

إنّ البحث عن "عمود السورة[1] "هو في حقيقته بحث عن "القيمة الأخلاقية المحورية" التي تريد السورة أن تغرسها في نفس القارئ. وهذا المنهج يربي المسلم على:

- النظر إلى الدين كمنظومة قيم متكاملة، وليس مجرد أوامر ونواهٍ متفرقة.
- فهم "روح الشريعة" ومقاصدها، وليس فقط الوقوف عند حرفية النصوص.
- تنمية "الضمير الأخلاقي" الذي يستطيع أن يميز بين الخير والشر بناءً على المبادئ القرآنية الكلية.

المبحث الرابع: أبعاد النموذج التربوي الفراهي وتطبيقاته

بعد أن حللت الدراسة التجليات التربوية العقلية والأخلاقية في كتاب "دلائل النظام"، يتجه هذا المبحث إلى تركيب هذه العناصر في صورة "نموذج تربوي" متكامل له ملامحه الخاصة. ويهدف إلى الإجابة عن سؤال: كيف يمكن أن يتحول فكر الفراهي ومنهجه من نظرية في الكتب إلى واقع عملي مؤثر؟ وذلك من خلال تحديد ملامح هذا النموذج، ورصد أثره في تلامذته، واستشراف آفاق تطبيقه في واقعنا المعاصر.

المطلب الأول: ملامح النموذج التربوي: المعلم القدوة والمتعلم المتدبر

لا يمكن اختزال النموذج التربوي الفراهي في مجرد خطوات منهجية، بل هو علاقة تفاعلية حيّة بين طرفين أساسيين: المعلم والمتعلم، يربط بينهما النص القرآني. وكتاب "دلائل النظام" لا

[1] المرجع السابق، ص 27.

يقدم فقط منهجًا للمتعلم، بل يرسم أيضًا ملامح الدور الذي يجب أن يلعبه المعلم.

أولًا: المعلم القدوة والموجِّه: لم يكن الإمام الفراهي مجرد ناقل للمعلومات، بل كان مربيًا بالدرجة الأولى. ويمكن استخلاص ملامح دور المعلم في نموذجه كالتالي:

- **التربية بالقدوة:** سيرة الفراهي نفسه كانت التطبيق العملي لمنهجه. فقد كان زاهدًا في الشهرة، منكبًا على القرآن، متجردًا في بحثه عن الحق. هذا السلوك يغرس في نفس المتعلم أخلاقيات العلم، وأهمها الإخلاص والتجرد والصبر.
- **المعلم كُلهِم وليس كملقِّن:** لا يهدف المعلم في هذا النموذج إلى حشو ذهن الطالب بالمعلومات والتفاسير الجاهزة، بل يهدف إلى إلهامه وإثارة فضوله، ودفعه للبحث بنفسه. دوره هو أن يعطي الطالب "مفاتيح التدبر" وهي قواعد النظام، ثم يتركه ليفتح بها أبواب القرآن.
- **صانع المنهجية:** الدور الأسمى للمعلم هو بناء "العقلية المنهجية" لدى الطالب. فهو لا يعلمه "ماذا يفكر"، بل "كيف يفكر" تفكيرًا منظمًا وبرهانيًا عند التعامل مع النص. وهذا يتجلى في كل صفحة من "دلائل النظام" الذي هو كتاب في "كيفية التفكير" قبل أن يكون كتابًا في "نتائج التفكير".

ثانيًا: المتعلم المتدبر: لم يعد المتعلم في هذا النموذج مجرد متلقٍ سلبي، بل هو شريك فاعل في العملية التعليمية، وملامحه الأساسية هي:

- الاستقلالية الفكرية: الهدف هو تخريج متعلم قادر على التعامل المباشر مع القرآن، لا يعتمد في فهمه على تقليد شيخه أو غيره من المفسرين، بل على قدرته على تطبيق المنهج واستخدام الأدوات بنفسه.
- الباحث الدؤوب: المتعلم في مدرسة الفراهي هو "باحث" بالضرورة. فهو مطالب ببذل الجهد العقلي في تتبع الروابط، والبحث عن الأدلة اللغوية، ومقارنة السياقات، وهي كلها أنشطة تتطلب صبراً ومثابرة.

- المتدبر الخاشع: كما مرّ في المبحث الثالث، فإنّ النشاط العقلي للمتعلم ليس غاية في ذاته، بل هو وسيلة لتحقيق التأثر الوجداني والخشوع القلبي. فالمتعلم المثالي هو الذي يجمع بين دقة العقل ورقة القلب.

المطلب الثاني: نحو تفعيل المنهج التربوي الفراهي في الواقع التعليمي المعاصر

لا ينبغي أن يظل فكر الفراهي التربوي حبيس الدراسات الأكاديمية، بل يمتلك إمكانات هائلة لإصلاح مناهج تعليم القرآن والدراسات الإسلامية في عصرنا، الذي يتسم بالتحديات الفكرية والحاجة الماسة إلى بناء عقل نقدي ومؤمن في آن واحد. ويمكن تفعيل هذا المنهج من خلال الخطوات التالية:

- إصلاح مناهج التفسير: يجب الانتقال في الجامعات والمعاهد الشرعية من تدريس التفسير كـ"مادة تاريخية" تستعرض أقوال المفسرين، إلى تدريسه كـ"مادة منهجية" يتعلم فيها الطالب "كيفية" الوصول إلى المعنى. ويمكن أن يكون كتاب "دلائل النظام" مقررًا أساسيًا في مواد أصول التفسير.
- تطوير المواد التعليمية: تصميم برامج وكتب دراسية مبسطة للمراحل التعليمية المختلفة (من التعليم العام إلى حلقات التحفيظ) تقوم على فكرة "الوحدة الموضوعية للسورة". فبدلًا من تحفيظ أجزاء متفرقة، يتم تدريس السور القصيرة كوحدات متكاملة، مع أنشطة تساعد الطلاب على اكتشاف "عمود السورة" بأنفسهم.
- تدريب المعلمين والمربين: عقد ورش عمل ودورات تدريبية لمعلمي التربية الإسلامية والمحفظين لتدريبهم على تطبيق هذا المنهج في فصولهم وحلقاتهم. يجب أن يتحول دور المعلم من ملقن إلى ميسّر لعملية التدبر.
- استخدام التقنيات الحديثة: يمكن تصميم تطبيقات تفاعلية ومواقع إلكترونية تستخدم الخرائط الذهنية والرسوم البيانية لتوضيح "نظام" السور القرآنية، وتوفر أدوات تساعد المستخدم على تتبع الروابط بين الآيات، مما يجعل عملية التدبر أكثر جاذبية للجيل الجديد.

إنّ تفعيل النموذج التربوي الفراهي اليوم ليس مجرد خيار، بل هو ضرورة لإعادة بناء علاقة الأمة بالقرآن، والانتقال بها من علاقة التبرك والتقديس السلبي إلى علاقة الفهم والتدبر والتفعيل، وهو ما سيؤدي حتمًا إلى بناء شخصية مسلمة معاصرة، واثقة من هويتها، ومنهجية في تفكيرها، وعميقة في إيمانها.

الخاتمة: في ختام هذه الرحلة البحثية في أعماق فكر الإمام عبد الحميد الفراهي، ومن خلال كتابه المنهجي "دلائل النظام"، تتجلى لنا حقيقة واضحة: إنّ مشروع الفراهي لم يكن مجرد مشروع تفسيري يهدف إلى الكشف عن جانب من جوانب إعجاز القرآن، بل كان في جوهره مشروعًا تربويًا إصلاحيًا متكاملًا يهدف إلى إعادة بناء العقل المسلم وتزكية النفس المسلمة، وإعادة القرآن إلى مركزيته في حياة الأمة.

نتائج البحث: لقد كشفت الدراسة عن مجموعة من النتائج الهامة، أبرزها:

1. دلائل النظام" ليس كتابًا في أصول التفسير فحسب، بل هو وثيقة تربوية تضع أسسًا لبناء عقلية منهجية منظمة، قادرة على التفكير الكلي والربط بين الأجزاء، والبحث عن العلل والمقاصد.
2. يقدّم منهج الفراهي نموذجًا عمليًا للتربية على التفكير النقدي من خلال دعوته إلى تحكيم النص القرآني، وتقديم البرهان على كل دعوى، ونبذ التقليد الأعمى، مما يحرّر المتعلم ويمنحه استقلالية فكرية.
3. الجانب العقلي في منهج الفراهي لا ينفصل عن الجانب الوجداني والإيماني؛ فالغاية من التدبر المنهجي هي الوصول إلى التأثر القلبي، والخشوع، وتزكية النفس، وترسيخ اليقين المبني على البرهان لا على التسليم السلبي.
4. النموذج التربوي الفراهي هو نموذج تفاعلي يقوم على "المعلم القدوة والموجّه" الذي يمنح المفاتيح، و"المتعلم الفاعل والمتدبر" الذي يقوم برحلة الاكتشاف بنفسه، وهو ما أثبت نجاحه في تخريج تلامذة مبدعين كأمين أحسن الإصلاحي.

5. وبهذا، يجيب البحث عن تساؤله الرئيسي مؤكدًا أنّ التجليات التربوية في "دلائل النظام" تتمثل في كونه يقدم مشروعًا متكاملًا لبناء شخصية قرآنية متوازنة، تجمع بين دقة العقل المنهجي، وعمق اليقين الإيماني، وسمو الخلق التزكوي.

توصيات البحث: بناءً على النتائج التي تم التوصل إليها، يوصي الباحث بما يلي:

على الصعيد الأكاديمي:

إجراء المزيد من الدراسات التي تتناول الأبعاد التربوية في سائر أعمال الفراهي، وخاصة في تفسيره "نظام القرآن" لتحليل الجانب التطبيقي لمنهجه.

عقد دراسات مقارنة بين النموذج التربوي الفراهي ونماذج المصلحين الآخرين (كمحمد عبده، ورشيد رضا) لتحديد نقاط الالتقاء والتميز.

على الصعيد التعليمي والمؤسسي:

دعوة القائمين على كليات الدراسات الإسلامية ومناهج التربية إلى إعادة النظر في طرق تدريس علوم القرآن والتفسير، والانتقال من التلقين إلى بناء مهارات التدبر والتفكير المنهجي، وجعل كتاب "دلائل النظام" مرجعًا أساسيًا في هذا الصدد.

تشجيع المعلمين والمربين في حلقات تحفيظ القرآن والمراكز الإسلامية على تبني أفكار تربوية مستلهمة من منهج الفراهي، تركز على فهم الوحدة الموضوعية للسور القصيرة كمدخل لغرس حب القرآن وتدبره في نفوس الناشئة.

إنّ إحياء المشروع التربوي للإمام الفراهي اليوم يمثل حاجة ملحة، فهو يقدّم لنا طريقًا أصيلًا ومعاصرًا في آن واحد، لإعادة بناء علاقتنا بالقرآن الكريم، لننتقل به من كونه كتابًا يُقرأ، إلى كونه منهجًا يُعاش، ومنهاجًا يبني الإنسان ويعمر الحياة.

قائمة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. أبو العلاء، عادل بن محمد. مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد129- السنة 37- 1425هـ.
3. الإصلاحي، محمد أجمل أيوب. مفردات القرآن- نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية للفراهي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2002م
4. بن إبراهيم، محمد بن قطب. منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، ط 16، د.ت
5. السيد، عاطف . التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها، د.ت.
6. الفراهي عبد الحميد، دلائل النظام، الدائرة الحميدية، ط1، 1388هـ.
7. محمد فريد راوي بن عبد الله، جهود الإمام عبد الحميد الفراهي الهندي في التفسير وعلوم القرآن، بحث منشور لنيل درجة الدكتوراه في تفسير وعلومه، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2015م.